



جامعة ستاردوم

مجلة ستاردوم العلمية للدراسات الإسلامية والشرعية

– مجلة ستاردوم العلمية للدراسات الإسلامية والشرعية –
تصدر بشكل ربع سنوي عن جامعة ستاردوم
العدد الرابع - المجلد الثالث 2025م

رقم الإيداع الدولي: ISSN 2980-3810



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رئيس التحرير

د. أنس صبري - الأردن

المدقق اللغوي

د. فارس محمد العمارات

أعضاء هيئة التحرير

د. محمد همام سعيد - تركيا

د. زكريا الرطروط - الأردن

د. محمد فخري صويلح - عمان

د. وضحة المري - الكويت

د. أكرم النمراوي - قطر

د. نبيل بلهي - الجزائر

أعضاء اللجنة الاستشارية

أ. د رياض فرج بن عبدات - اليمن

أ.د عبد الرحمن الكيلاني - الأردن

أ.د سامي بن شعلال - الجزائر

أ. د عودة عبد عودة عبد الله - فلسطين

أ. د هيثم خزنة - تركيا

أ.د محمد المشهداني - العراق

د ثابت أبو الحاج - ماليزيا

أ. د أحمد إبراهيم يوسف سعدية - مصر

أ.د عبد الله الجديع - بريطانيا

د. كلثم الماجد - الإمارات العربية المتحدة

د. هيثم زماعة - أمريكا

مظاهرُ تمردِ كفارِ قريشٍ على النبي -صلى الله عليه وسلم- والأساليب التي واجههم بها
(سورة هود أنموذجاً)

**The Manifestations of Quraysh's Rebellion Against
Prophet (peace be upon him) –
The Methods he Used to Confront them: A Case Study of (Surat
Hūd**

د. فائز جمعان خميس بن مركب

أستاذ التفسير المساعد

Dr.Fa'z Juma'an Khameess Bin Markad
Associated Professor of Tafsir

د. صفوان عبد الوهاب نعمان الأحمدى

أستاذ التفسير المساعد

Safwanep14@gmail.co

كلية الآداب - جامعة المهرة

Dr. Safwan Abdulwahab Nu'aman Al-Ahmadi
Associated Professor of Tafsir

Faculty of Arts- Mahara University

ملخص البحث:

يناقش هذا البحث "مظاهر تمرد كفار قريش على النبي -صلى الله عليه وسلم- والأساليب التي واجههم بها"، والمقتصر على سورة هود كإنموذج، وقد حوى تمهيداً، وأربعة مباحث، وخاتمة، كان التمهيد عبارة عن تعريف عام بسورة هود وبمصطلحات البحث، بينما تحدث المبحث الأول عن مطلب النبي -صلى الله عليه وسلم- من قومه، والغاية التي لأجلها أرسل، مع النذارة أو البشارة المترتبة على ذلك، أمّا المبحث الثاني -والذي يعتبر صلب البحث- فكان عن مظاهر تمرد كفار قريش على النبي -صلى الله عليه وسلم-، حيث تعددت هذه المظاهر وتفاوتت، كان أبرزها: الإعراض عن القرآن الكريم وتكذيبه، وإنكار البعث، واستعجال العذاب، والافتراء على الله، والصد عن سبيله، والكفر باليوم الآخر، ومع كل مظهر من هذه المظاهر بين الباحثان الأسلوب الذي واجه به النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا التمرد، وكان المبحث الثالث عن أثر تمرد كفار قريش على النبي -صلى الله عليه وسلم- وتسليته ربه له إثر تمردهم عليه -صلى الله عليه وسلم-، ويأتي المبحث الرابع والأخير ليضع العلاج الناجع بين يدي القارئ حول المنهج الرباني التحصيلي من نهج المتمردين، وهو المنهج الذي خُتمت به سورة هود -محل الدراسة-، والمتمثل بالاستقامة على مراد الله وعدم الطغيان، والتحذير من الركون إلى الكافرين، مع الحث على إقامة الصلاة ولزوم الصبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان عاقبة تركهما، وفي تمام البحث توصل الباحثان إلى جملة من النتائج كان من أبرزها: أن الإعراض عما أنزل الله هو أول الأسباب الموصلة إلى التمرد على الحق، وكما أن سورة هود ذكرت التمرد وأسبابه، فإنها في المقابل خُتمت بمنهج يقي من الوقوع في شيء من ذلك، ومن النتائج أن إيراد تمرد كفار قريش في سورة هود مع تمرد الأمم السابقة إنما هو لتثبيت النبي -صلى الله عليه وسلم- وتسليته، وقد ذكر الله ذلك صراحة في نهاية السورة، ومن النتائج أن تنوع هذه الأساليب التي واجه بها النبي -صلى الله عليه وسلم- متمردي قريش فيها رسم للمنهج المتبع مع المتمردين على الحق في كل زمان ومكان، وأن يُعامل كل متمرّد بما يناسب تمرده، كما كان من أبرز توصيات البحث: عمل دراسة عن التمرد في العصر الحديث خاصة في الجانب السياسي، لمعرفة الدواعي والأسباب للتمرد مع استنباط الأساليب المناسبة لمواجهته والحلول لمعالجته من القرآن الكريم والسنة النبوية.

الكلمات المفتاحية: المظاهر، التمرد، قريش، الأساليب، سورة هود.

Abstract

This study discusses “the manifestations of Quraysh’s rebellion against the Prophet (peace be upon him) and the methods he used to confront them,” focusing specifically on Surat Hūd. The research includes an introduction, four main sections, and a conclusion.

In the conclusion, the researchers arrived at several findings, the most significant of which are: Turning away from Allah commands is the primary cause leading to denying the truth, Surat Hūd discusses not only the manifestations and the causes of rebellion, but also the preservation ways from them, consoling the Prophet (peace be upon him) by mentioning Quraysh’s rebellion alongside with the earlier nations, and the methods used by the Prophet (peace be upon him) provides a model for dealing with rebellion in every time and place. Among the most notable **recommendations** of the study is conducting further research on modern day rebellion, particularly in the political sphere; to identify its causes and motives and to derive appropriate methods of dealing with it from the Qur'an and Sunnh.

Keywords: manifestations, rebellion, methods, Quraysh, Surat Hūd.

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد:

القرآن الكريم مصدر هداية للناس في كل مجالات الحياة، وجلُّ هذه المجالات تركز على التعامل فيما بينهم، والمسلم مطالب بأن يتعامل مع الآخرين حسب توجيه الله تعالى له في كتابه العزيز، خاصة فيما يترتب عليه ثواب أو عقاب، وأن مخالفة ذلك إيدان بالتمرد على مراد الله تعالى، وقد قصَّ الله تعالى علينا في كتابه العزيز أخبار أقوام أعرضوا عن رسلهم فقادهم إعراضهم إلى التمرد والعصيان، وذلك في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم، كان من ضمنها سورة هود عليه السلام، حيث ذكر الله تعالى فيها نبينا محمدًا -صلى الله عليه وسلم- وقومه، ونوحًا عليه السلام وقومه، وهودًا وصالحًا وإبراهيم ولوطًا وشعيبًا وموسى عليهم السلام وأقومهم، ولكل نبي من الأنبياء الكرام -أنفي الذكر- شأن مع قومه، حري بالبحث والتأمل، لكنَّ الباحثين اقتصرنا على الحديث عن محمد -صلى الله عليه وسلم- وقومه، إذ أن السورة الكريمة أفتتحت بالحديث عنه وعن دعوته واختتمت ببيان أن ما ورد في السورة هو تسلية وتثبيت له -صلى الله عليه وسلم- وموعظة وذكرى للمؤمنين في زمنه ومن بعده، كما أنها ختمت أيضًا بوقفيتين عظيمتين، الأولى عن مصير كل من الأشقياء الذين تمردوا على الحق واتبعوا الباطل، والسعداء الذين اتبعوا الحق، والثانية عن المنهج الرباني للوقاية من الوقوع في نهج المتمردين، وتمت مناقشة ذلك في ثنايا البحث، وقد اشتمل البحث على الآتي:

أولاً: أهداف البحث:

1. إفرد الموضوع محل الدراسة بصورة مستقلة عن كتب التفسير والقصص القرآني.
2. بيان مظاهر المتمردين من كفار قريش ومعرفة مدى تأثر متمردي العصر الحاضر بها.
3. إبراز الأسلوب الدعوي لدى نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- في مواجهة المتمردين من قومه.

ثانيًا: أهمية البحث:

1. أن التمرد سبب رئيس في زعزعة السلم والاستقرار، فلا بد من معرفة مظاهره وأسبابه.
2. الاستفادة من أسلوب نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- حيال المتمردين على الحق.
3. أن التمرد يخلق بيئة طاردة للتنمية خاصة للعقول المنتجة، مما يضطرها للهجرة.

ثالثاً: حدود البحث:

سورة هود.

رابعاً: منهج البحث:

المنهج الاستقرائي التحليلي.

خامساً: خطة البحث:

وقد تكونت خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة، وقد سبق ذكرها.

التمهيد وفيه تعريف عام بسورة هود وبمصطلحات البحث.

المبحث الأول: مطلب النبي -صلى الله عليه وسلم- من قومه، والندارة أو البشارة المترتبة على ذلك، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مطلب النبي -صلى الله عليه وسلم- من قومه.

المطلب الثاني: الندارة أو البشارة المترتبة على مطلب النبي -صلى الله عليه وسلم- من قومه.

المبحث الثاني: مظاهر تمرد كفار قريش على النبي -صلى الله عليه وسلم-، والأساليب التي واجههم بها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإعراض عن القرآن الكريم وتكذيبه، وأساليب مواجهة ذلك.

المطلب الثاني: إنكار البعث، واستعجال العذاب، وأساليب مواجهة ذلك.

المطلب الثالث: الافتراء على الله، والصد عن سبيله، والكفر باليوم الآخر، وأساليب مواجهة ذلك.

المبحث الثالث: أثر تمرد كفار قريش على النبي -صلى الله عليه وسلم- وتسليته ربه له، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أثر تمرد كفار قريش على النبي -صلى الله عليه وسلم-.

المطلب الثاني: تسليته الله تعالى لنبيه -صلى الله عليه وسلم-.

المبحث الرابع: المنهج الرباني التحصيلي من نهج المتمردين، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الاستقامة على مراد الله وعدم الطغيان.

المطلب الثاني: عدم الركون إلى الظالمين.

المطلب الثالث: إقامة الصلاة ولزوم الصبر.

المطلب الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان عاقبة تركهما.

خاتمة البحث، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

أولاً: التعريف بسورة هود.

قبل التعريف بالسورة الكريمة تجدر الإشارة للمناسبة بينها وبين سابقتها-سورة يونس- ولعلها كما يذكر البقاعي أنه لما ختمت السورة التي قبلها بالحث على اتباع الكتاب ولزومه والصبر على ما يتعقب ذلك من مرائر الضير المؤدية إلى مغاوير الخير اعتماداً على المتصف بالجلال والكبرياء والكمال ابتدأت هذه السورة بوصفه -أي الكتاب العزيز-⁽¹⁾، حيث قال سبحانه وتعالى: {الرَّ كِتَابٍ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ وَثُرُ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [سورة هود:1].

وأما عن التعريف بالسورة فهي سورة مكية بجميع آياتها البالغة مائة وثلاث وعشرون آية، وهو قول مروى عن ابن عباس⁽²⁾، وقيل بأنها مكية إلا قوله تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ} [سورة هود:114].⁽³⁾، وقيل مكية إلا الآية السابقة وكذا قوله تعالى: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ} [سورة هود:12]. وقوله تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ} [سورة هود:17].⁽⁴⁾، وقيل مكية عدا آيات أخرى غير هذه الآيات⁽⁵⁾، وبالجملة فالسورة مكية عند جمهور أهل التفسير غير بضع آيات وقع فيها خلاف حول مكيتها أو مدنياتها.

وأما عن تسميتها فقد سُميت في جميع المصاحف وكتب التفسير والسنة النبوية بسورة هود، ولا يعرف لها اسم غير ذلك⁽⁶⁾، وهي تسمية توقيفية، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد شبت، قال: «شيبنتي هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت»⁽⁷⁾،

(1) نظم الدرر: للبقاعي (9/ 224).

(2) يُنظر: بحر العلوم: للسمرقندي (2/ 137)، الكشف والبيان: للثعلبي (5/ 156)، زاد المسير: لابن الجوزي (2/ 355)، أنوار التنزيل: للبيضاوي

(3/ 127)، الدر المنثور: للسيوطي (4/ 399).

(3) يُنظر: معالم التنزيل: للبغوي (2/ 438)، غرائب القرآن و رغائب الفرقان: للنيسابوري (3/ 4).

(4) يُنظر: الكشف: للزمخشري (2/ 377)، مفاتيح الغيب: للرازي (17/ 312)، التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي (1/ 365).

(5) يُنظر: المحرر الوجيز: لابن عطية (3/ 148).

(6) يُنظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (11/ 315).

(7) سنن الترمذي: باب: ومن سورة الواقعة (5/ 402)، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه.

وعلة التسمية تخليداً لاسم نبي الله هود عليه السلام الذي تكرر ذكره لخمس مرات في هذه السورة ولم يتكرر بهذا القدر في سواها.

ومن فضائلها أنها تنبأت للنبي -صلى الله عليه وسلم- على تكذيب قومه له، وقد "نزلت السورة بجملتها بعد يونس، ونزلت يونس بعد الإسراء، وهذا يحدد معالم الفترة التي نزلت فيها، وهي من أخرج الفترات وأشققها ... في تاريخ الدعوة بمكة، فقد سبقها موت أبي طالب وخديجة وجرأة المشركين على ما لم يكونوا ليجرؤوا عليه في حياة أبي طالب - وخاصة بعد حادث الإسراء وغرابتة، واستهزاء المشركين به، وارتداد بعض من كانوا أسلموا قبله" (8).

ثانياً: التعريف بمصطلحات البحث:

تعريف التمرد لغة واصطلاحاً.

التمرد لغة: مأخوذ من الفعل مرد، كنصر وكرم، مرودا ومرودة ومرادة، فهو مرد ومريد ومتمرد، والمراد: العاتي، والمريد من شياطين الإنس والجن، وقد تمرّد علينا: أي عتا واستعصى، ومَرَدَ على الشرّ تمرّد: أي عتا وطغى (9).

اصطلاحاً: هو "الخروج على السلطة والقيم والقوانين والعقائد والأعراف السليمة، أو هو الخروج على ما ينبغي الالتزام به" (10)، كما أنّ من معانيه الإصرار على المعصية والولوج فيها، ومنه قوله تعالى في شأن المنافقين: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ [سورة التوبة: 101]، قال الطبري: أي "مرئوا عليه ودربوا به" (11).

تعريف المظاهر لغة واصطلاحاً.

المظاهر لغة: جمع مظهر، وهو الصورة التي يبدو عليها الشيء، ظهر الشيء أو الأمر يظهر ظهوراً فهو ظاهر وظهير، إذا انكشف، والظاهر: خلاف الباطن وبرز (12).

اصطلاحاً: تعرف الظاهرة بأنها موضوع ذو وجود خارجي حقيقي، كما تعرّف بأنها أمر ينجم بين الناس ويعم (13)، ومظاهر كفار قريش المرادة في البحث هي تلك التي واجهوا بها النبي -صلى الله عليه وسلم- من الأعراض أو التكذيب أو الاستهزاء على ما سيأتي بيانها في ثنايا البحث.

(8) يُنظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (4/1840).

(9) يُنظر: تهذيب اللغة: للأزهري، (14/84)، لسان العرب: لابن منظور (3/400)، القاموس المحيط: للفيروز أبادي (ص: 319).

(10) دائرة معارف الأسرة المسلمة: علي بن نايف الشحود (ص: 158).

(11) جامع البيان: للطبري (15/356).

(12) تاج العروس (12/484)، مقاييس اللغة (3/471).

(13) ينظر: معجم مقاييس اللغة (3/741)؛ معجم اللغة العربية المعاصرة (2/1443).

تعريف الأساليب لغة واصطلاحًا.

الأساليب لغة: جمع أسلوب وهو الطريق والوجه والمذهب والفن⁽¹⁴⁾.

اصطلاحًا: هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم، كما أنه الكيفيات التي يتم بها أداء الدعوة وتبليغها،

والأساليب هي القوالب والأشكال والكيفيات التي تعرض فيها الدعوة⁽¹⁵⁾.

المبحث الأول: مطلب النبي -صلى الله عليه وسلم- من قومه والندارة أو البشارة المترتبة على ذلك، وفيه مطلبان:

تضمن صدر سورة هود أمهات العقيدة وأصولها، كما أطلق عليها صاحب الظلال⁽¹⁶⁾، وقسمها البقاعي من قبل إلى ثلاثة فصول، فصل الإلهية، وفصل الرسالة، وفصل التكاليف⁽¹⁷⁾، وهذه الأمهات والأصول أو الفصول، منها ما هو مطالب النبي -صلى الله عليه وسلم- من قومه- بل ومطالب كل الأنبياء من أقوامهم-، ومنها ما هو بشارة لمن استجاب، وندارة لمن تمرد عن هذه المطالب، وتمت دراستها في المطلبين الآتين:

المطلب الأول مطالب النبي -صلى الله عليه وسلم- من قومه.

أنت مطالب النبي -صلى الله عليه وسلم- من قومه مرتبة من الأعلى إلى الأدنى، فقد ابتدأت بمعرفة الله تعالى وعبادته، ثم معرفة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، ثم العمل بتكاليف الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، فقال سبحانه وتعالى على لسان النبي -صلى الله عليه وسلم-: { أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ وَإِنْ أَسْتَعْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُؤْبُوا إِلَيْهِ يُعْتَفِ عَنْكُمْ مَتَّعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ } [سورة هود: 2-3]. وتمت دراسة هذه الأصول الثلاثة على النحو الآتي:

(14) ينظر: لسان العرب (1/ 471): مختار الصحاح (308).

(15) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (2/ 303)، منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة (2/ 543)، الدعوة فئة المتخصصين في العلوم الشرعية (150).

(16) يُنظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (4/ 1851).

(17) يُنظر: نظم الدرر: للبقاعي (3/ 502).

أولاً: الدعوة إلى توحيد الله عز وجل _فصل الإلهية_:

يوحي الله تعالى لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- أن يدعو قومه الى توحيد عَز وجل، وإفراده بالعبادة دون سواه، فقال: {يُرِزِيمُ}، ثُمَّ بَيَّنَّ لَهُ فِي ثَنَايَا السُّورَةِ أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ لَيْسَتْ بِدَعَاٍ مِنَ الْقَوْلِ، فَقَدْ دَعَا بِهَا مِنْ قَبْلِهِ نُوحٌ وَهُودٌ وَصَالِحٌ وَشُعَيْبٌ وَمُوسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ولقوله سبحانه: {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} تقدير ومعنى، وفي تقديره "وجهان: أحدهما: أن كتبتُ في الكتاب يُرِزِيمُ الثاني: أنه أَمَرَ رَسُولَهُ -صلى الله عليه وسلم- أن يقول للناس {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} (18)، وقال الزمخشري: "ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأً منقطعاً عما قبله على لسان النبي -صلى الله عليه وسلم-، إغراء منه على اختصاص الله بالعبادة، ويدل عليه قوله: {إِنِّي لَكَرِّمُهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ} (19)

وأما المعنى: فهو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل، قال الخازن: "والمراد بالعبادة التوحيد، وخلع الأنداد والأصنام وما كانوا يعبدون، والرجوع إلى الله تعالى وإلى عبادته، والدخول في دين الإسلام" (20) وهذا هو المطلب الأعظم للنبي -صلى الله عليه وسلم- من قومه، إذ "النهي عن عبادة غير الله وإيجاب عبادة الله هو أصل الدين، وإليه مرجع جميع الصفات التي ثبتت لله تعالى بالدليل، وهو الذي يتفرع عنه جميع التفاصيل، ولذلك تكرر الأمر بالتوحيد والاستدلال عليه في القرآن الكريم" (21).

ثانياً: بيان أنه مرسل من عند الله عز وجل _فصل الرسالة_:

يقول صاحب الظلال: الإقرار بالرسالة أساس للتصديق بهذه القضايا التي جاءت الرسالة لتقريرها، وكل شك في أن هذا من عند الله، كفيلاً بتحطيم احترامها الملزم في عالم الضمير، كما أن الإقرار بها هو الذي يجعل هناك ضابطاً لما يريده الله من البشر؛ كي يتلقى البشر في كل ما يتعلق بالدينونة لله من مصدر واحد (22)

(18) النكت والعيون: للماوردي (265/2).

(19) الكشف: للزمخشري (265/2).

(20) لباب التأويل في معاني التنزيل: للخازن (216/3).

(21) التحرير والتنوير: لابن عاشور (315/11).

(22) يُنظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (4/1853).

ولهذا بعد أن طلب النبي -صلى الله عليه وسلم- من قومه أن يوحدوا الله أبلغهم بأنه مرسل من عند الله، وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى: { إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ } فقيل: "كلام على لسان الرسول -صلى الله عليه وسلم-، أي إني أنذركم، من الحكيم الخبير، عقاب الشرك وتبعته، وأبشركم منه بثواب التوحيد وفائدته" (23) وقيل: هو من قول الله أولا وآخرا؛ أي لا تعبدوا إلا الله إني لكم منه نذير؛ أي الله نذير لكم من عبادة غيره، كما قال: { لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ } [سورة آل عمران: 28] (24)، والأول أولى؛ لأن "الضمير في قوله: { نَجْ } عائد إلى الحكيم الخبير، والمعنى: إني لكم نذير وبشير من جهته" (25) ولما كان قوله: { وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ } مشتملاً على المنع عن عبادة غير الله، وعلى الترغيب في عبادة الله تعالى، فهو عليه الصلاة والسلام نذير على الأول بإلحاق العذاب الشديد لمن لم يأت بها، وبشير على الثاني بإلحاق الثواب العظيم لمن أتى بها (26)، وقدم النذير لأن التحذير من النار هو الأهم (27)

ثالثاً: الاستغفار والتوبة -فصل التكاليف-

بعد دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- قومه إلى التوحيد، وإبلاغهم بأنه مرسل من عند الله تعالى، دعاهم إلى الاستغفار والتوبة، قال تعالى: {وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} قال الطبري: "أمرهم تعالى ذكره بالتوبة إليه بعد الاستغفار من الشرك، لأن أهل الشرك كانوا يرون أنهم يطيعون الله بكثير من أفعالهم، وهم على شركهم مقيمون" (28).

(23) محاسن التأويل: للقاسمي (73/6).

(24) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (3/9).

(25) مفاتيح الغيب: للرازي (1/ 2417).

(26) يُنظر: مفاتيح الغيب: للرازي (1/ 2417).

(27) المحرر الوجيز: لابن عطية (165/3).

(28) جامع البيان: للطبري (229/15).

وهذا التفريق بين الاستغفار والتوبة "إن كانت الآية في الكفار...أي: أسلموا ثم توبوا إليه، أي: ارجعوا إليه عن كل معصية وكل مأثم تأتونها، وإن كان في المسلمين فهو ظاهر، فيكون قوله: استغفروا وتوبوا واحدا" (29)، قال الزمخشري: "استغفروا من الشرك، ثم ارجعوا إليه بالطاعة" (30).

قال أبو حيان: "وهما معنيان متباينان، لأن الاستغفار طلب المغفرة وهي الستر، والمعنى: أنه لا يبقى لها تبعة، والتوبة الانسلاخ من المعاصي، والندم على ما سلف منها، والعزم على عدم العود إليها، ومن قال: الاستغفار توبة، جعل قوله: ثم توبوا، بمعنى أخلصوا التوبة واستقيموا عليها" (31).

والتفريق بينهما أولى، وأن الآية خطاب للكفار؛ لأن معنى العبادة في هذا الموضع كما أسلفنا: التوحيد (32)، وذلك جريا على الطابع العام لسورة هود، إذ أن معظم الرسل الذين ذُكروا فيها دعوا قومهم بهذه الدعوة، والمراد بها التوحيد، والمسلم لا يطالب بالتوحيد، وإنما بالثبات والاستقامة عليه، وتجديد الإيمان وزيادته، وهذا كثير في كتاب الله تعالى، منه قوله تعالى: { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } [سورة الحجر: 99]. "أي: واستقم على التوحيد" (33).

(29) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) (95/6).

(30) الكشف: للزمخشري (2/ 359).

(31) البحر المحيط: لأبي حيان (6/ 120).

(32) يُنظر: تفسير مقاتل بن سليمان (2/ 108).

(33) بحر العلوم: للسمرقندي (2/ 264).

المطلب الثاني: النذارة أو البشارة المترتبة على مطلب النبي -صلى الله عليه وسلم- من قومه:

بعد أن بين النبي -صلى الله عليه وسلم- لقومه أنه نذير للمتمرد الشقي، وبشير للمستجيب النقي بقوله: {إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ} بين لهم بعضاً من بشارة المستجيبين، ونذارة المتمردين، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: بشارته للمستجيبين:

قال تعالى: {يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ}، حوى هذا الجزء من الآية بشارتي الدنيا والآخرة، فأما بشارته للمستجيبين في الدنيا فقوله: {يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى}، ومعنى متاعاً حسناً: أي: "يعيشكم عيشاً حسناً في الدنيا في عافية ولا يعاقبكم بالسنين ولا بغيرها"⁽³⁴⁾، والأجل المسمى: أي إلى منتهى آجالكم في هذه الحياة الدنيا⁽³⁵⁾، ومتاع الدنيا الحسن على هذا المعنى ليس محصوراً على المستجيبين فحسب، بل قد يحصل عليه الأشقياء المتمردون، وهذا واقع منذ بداية البشرية حتى تمامها؛ لأن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولكن عطاءه لهم إنما هو على سبيل الاستدراج، قال تعالى: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [سورة الأنعام: 44]، وقيل: "المتاع الحسن صفاء الأحوال، وسناء الأذكار، وحلاوة الأفكار وتجلي الحقائق، وظهور اللطائف، والفرح برضوان الله تعالى وطيب العيش بمشاهدة أنواره سبحانه"⁽³⁶⁾، وهذا لا يكون إلا للمستجيبين، وأما بشارته لهم في الآخرة -على قول كثير من المفسرين-⁽³⁷⁾ فقوله: {وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} "أي يؤتي كل ذي عمل من الأعمال الصالحات جزاء عمله"⁽³⁸⁾، "ويجوز أن يجازيه عليه في الدنيا، على قول مجاهد"⁽³⁹⁾، وبه قال الزجاج⁽⁴⁰⁾، يقول صاحب الظلال: "وأرى أنها عامة في الدنيا والآخرة ... وذو الفضل

(34) تفسير مقاتل بن سليمان (108/2).

(35) يُنظر: تفسير مقاتل بن سليمان (108/2)، جامع البيان: للطبري (230/15).

(36) روح المعاني: للألوسي (217/6).

(37) يُنظر: تفسير مقاتل بن سليمان (114/2)، جامع البيان: للطبري (231/15، 232)، الكشاف: للزمخشري (359/2)، الجامع لأحكام

القرآن: للقرطبي (4/9).

(38) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (4/9).

(39) النكت والعيون: للماوردي (457/2).

(40) يُنظر: معاني القرآن: للزجاج (38/3).

يلقى جزاءه في اللحظة التي يبذل فيها الفضل، يجده رضى نفسيا وارتياحا شعوريا، واتصالا بالله وهو يبذل الفضل عملا أو مالا متجها به إلى الله، أما جزاء الله له بعد ذلك فهو فضل من الله وسماحة فوق الجزاء⁽⁴¹⁾.

ثانياً: نذارته للمتمردين:

قال تعالى: {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ}، قال ابن كثير: " هذا تهديد شديد لمن تولى عن أوامر الله تعالى وكذب رسله فإن العذاب يناله يوم القيامة لا محالة... وهذا مقام الترهيب كما أن الأول مقام ترغيب"⁽⁴²⁾، والمعنى كما قال الطبري: أي: "وإن أعرضوا عما دعوتهم إليه، من إخلاص العبادة لله، وترك عبادة الآلهة، وامتنعوا من الاستغفار لله والتوبة إليه، فأدبروا مولين عن ذلك، {فَإِنِّي}، أيها القوم {أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ}، شأنه عظيم هوله، وذلك يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون"⁽⁴³⁾، وتمرد كفار قريش هو تكلف للنفس ضد ما طبعها الله عليه من سلامة الفطرة وسهولة الانقياد لأمر الله تعالى⁽⁴⁴⁾.

وبعد بشارة المستجيبين ونذارة المتمردين، ذيل الآية بتذكير الفريقين بمصيرهم الحتمي، وهو تذييل فيه بشارة ونذارة أيضاً، فقال: {إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، قال الفخر الرازي: "إن هذا تهديد عظيم من بعض الوجوه، وبشارة عظيمة من سائر الوجوه، أما إنه تهديد عظيم فلأن قوله تعالى: {إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ} يدل على أنه ليس مرجعنا إلا إليه، وقوله: {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} يدل على أنه قادر على جميع المقدورات لا دافع لقضائه ولا مانع لمشيئته والرجوع إلى الحاكم الموصوف بهذه الصفة مع العيوب الكثيرة والذنوب العظيمة مشكل، وأما إنه بشارة عظيمة فلأن ذلك يدل على قدرة غالبية وجلالة عظيمة لهذا الحاكم، وعلى ضعف تام وعجز عظيم لهذا العبد، والملك القاهر العالي الغالب إذا رأى عاجزا مشرفا على الهلاك فإنه يخلصه من الهلاك"⁽⁴⁵⁾.

(41) في ظلال القرآن: سيد قطب (4/1855).

(42) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (4/263).

(43) جامع البيان: للطبري (15/232).

(44) يُنظر: نظم الدرر: للبقاعي (3/500).

(45) مفاتيح الغيب: للرازي (17/317).

المبحث الثاني: مظاهر تمرد كفار قريش على النبي -صلى الله عليه وسلم-، والأساليب التي واجههم بها، وفيه ثلاثة مطالب:

يُعتبر هذا المبحث صلب موضوع البحث، والذي ناقش مظاهر تمرد كفار قريش على النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد تعددت هذه المظاهر بناء على تعدد أخباره -صلى الله عليه وسلم- بمضمون رسالته، فعندما يدعوهم إلى توحيد الله يتمردون على هذا التوحيد، ويعجبون من جعل الآلهة المتعددة التي ألفوها إلها واحداً، وعندما يدعوهم إلى تصديق رسالته يسخرون من دعوته لهم واختصاصه بهذه الدعوة من الله وهو بشر مثلهم، وهكذا في الإيمان بالقرآن وأخباره، ومع هذه المظاهر من مظاهر التمرد فقد واجههم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالأسلوب الأمثل والمؤيد بالحجج والبراهين، وفي السورة محل الدراسة ذكر الله تعالى صوراً من مظاهر تمرد كفار قريش والأساليب التي واجههم بها النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد تمت دراستها على النحو الآتي:

المطلب الأول: الإعراض عن القرآن، وعدم الاقتناع به، وتكذيبه، وأساليب مواجهة ذلك.

يُعدُّ إعراض الأشقياء من مشركي قريش عن القرآن الكريم وعدم الاقتناع به وتكذيبه من أبرز مظاهر تمردهم على النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد ذكر الله تعالى ذلك في مواطن عديدة من كتابه العزيز، منها الآيات محل الدراسة في هذه السورة، والمتأمل في تمردهم في هذه الآيات يجد أنهم يتدرجون من مرحلة إلى أخرى، ومن عتقٍ إلى أعتى، فبدأوا بمرحلة الإعراض عن القرآن الكريم وعدم سماعه، ثم انتقلوا إلى مرحلة الاستخفاف به وعدم الاقتناع بمعجزاته، ثم أوصلتهم شقاوتهم إلى مرحلة التكذيب به جملة واحدة، وقد تمت دراسة هذه المراحل الثلاث من مراحل التمرد على القرآن الكريم مع بيان الأساليب التي واجههم بها النبي -صلى الله عليه وسلم- على النحو الآتي:

أولاً: مرحلة إعراض الأشقياء عن القرآن الكريم:

قال تعالى: {أَلَا إِنَّهُمْ يَشْتُونَ صُدُورَهُمْ لَيْسَتْ خَفُوفٌ مِنْهُ} [سورة هود: 5]، اختلف أهل التفسير في معنى قوله {يَشْتُونَ صُدُورَهُمْ} على أقوال (46): أبرزها قول قتادة، حيث قال: "كانوا يحنون صدورهم لكيلا يسمعوها كتاب الله" (47)،

(46) يُنظر بقية الأقوال في النكت والعيون: للماوردي (457/2).

(47) جامع البيان: للطبري (235/15).

وبه قال مقاتل، حيث قال: "يعنى يلوون، وذلك أن كفار مكة كانوا إذا سمعوا القرآن، نكسوا رؤوسهم على صدورهم كراهية استماع القرآن" (48)، وبنحوه قال الطبري أي: يحنون صدورهم (49)، وهذا إعراض حسي ومعنوي.

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن معناه: يكتمون ما في قلوبهم (50)، وهذا إعراض معنوي، وهو كناية عن النفاق، بل وصرح بعضهم بذلك، كما روي عن عبد الله بن شداد من أنها نزلت في بعض المنافقين وكان إذا مر برسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثنى صدره وحتى ظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه؛ كي لا يراه النبي -صلى الله عليه وسلم- (51)، وهذا مشكل؛ لأنه لم يكن في العهد المكي نفاق، وإنما ظهر في العهد المدني (52)، قال البيضاوي: "وقيل نزلت في المنافقين، وفيه نظر؛ إذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة" (53)

ولكن التعيين في سبب النزول يزيل هذا الإشكال، إذ أنها نزلت في رجل بعينه، وهو الأخنس بن شريق وكان رجلاً حلو الكلام، حلو المنظر، يأتي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بما يحب، وينطوي بقلبه على ما يكره، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعجبه حديثه ويقربه مجلسه (54).

ويمكن الجمع بين المعنى الذي روي عن ابن عباس من جهة، والمعنى الذي روي عن قتادة وأورده مقاتل واختاره الطبري من جهة أخرى بأن إعراض كفار مكة ككل كان إعراضاً حسيّاً معنوياً، أي يلوون صدورهم حقيقة ويعرضون عنه في قلوبهم ابتداءً، بينما إعراض من نزلت الآية بشأنه كان إعراضاً معنوياً، أي يعرض عنه بقلبه ويظهر خلافه؛ وذلك لتقريب النبي -صلى الله عليه وسلم- له في مجلسه.

وأما ما روي عن عبد الله بن شداد من تصريح بأنها نزلت في بعض المنافقين -بينما السورة مكية-، فالصورة التي ذكرها من ثني الصدور والظهر وطأطأة الرأس وتغطية الوجه فإنها تدل على أن هذا من فعال المشركين، أما المنافق فإنه يسمع للقرآن ظاهراً ويكفر به باطناً، كما أن الطبري في إحدى روايته لهذا الأثر عن ابن شداد لم يذكر فيه المنافقين (55) فدل هذا على أن الآية نازلة في كفار قريش.

(48) تفسير مقاتل بن سليمان (108/2).

(49) جامع البيان: للطبري (237/15).

(50) تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم (1998/6).

(51) يُنظر: معالم التنزيل: للبغوي (439/2).

(52) يُنظر: حاشية الطيبي على الكشاف (16/8).

(53) أنوار التنزيل: للبيضاوي (128/3).

(54) يُنظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) (97/6)، الكشف والبيان: للثعلبي (157/5)، معالم التنزيل: للبغوي (439/2).

(55) يُنظر: جامع البيان: للطبري (234/15).

قال أبو منصور الماتريدي: "ويشبه ما ذكر من ثني الصدور أن يكون كناية عن ضيق الصدور؛ كقوله: {وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} [سورة الأنعام: 125]، أو عبارة عن الكبر؛ كقوله: {ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [سورة الحج: 9]".⁽⁵⁶⁾ وهاتان الصفتان -ضيق الصدر والكبر- قد اجتمعتا في كفار قريش، وسورتا الأنعام والحج مكيتان.

وفي المراد بقوله تعالى: {أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ} [سورة هود: 5]. أقوال ⁽⁵⁷⁾، أقربها لإعراضهم آنف الذكر أن قومًا من الكفار كانوا لشدة بغضتهم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- يستغشون ثيابهم يغطون بها وجوههم ويصمون بها آذنه؛ حتى لا يروا شخصه ولا يسمعوا كلامه، وهو معنى قول قتادة ⁽⁵⁸⁾.

الأسلوب الذي واجههم به النبي -صلى الله عليه وسلم-:

واجه النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا المظهر من مظاهر تمرد كفار قريش بأسلوب التهريب، ويمكن أن يُطلق عليه الإخبارُ التهديديُّ بأنَّ الله تعالى مطلع على ظواهرهم وبواطنهم، وأنه لا يخفى عليه شيء من ذلك، فقال سبحانه: {أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [سورة هود: 5]، وأنَّ الأمر ليس متعلقًا بهم فحسب، بل إلى ما هو أعظم وأعم وأشمل من ذلك، فقال سبحانه: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [سورة هود: 6].

يقول صاحب الظلال: "والآيتان الكريمتان تستحضران مشهداً فريداً ترجف له القلوب حين تتدبره وتتصوره! ويا لها من رهبة غامرة، وروعة باهرة، حين يتصور القلب البشري حضور الله -سبحانه- وإحاطة علمه وقهره، بينما أولئك العبيد الضعاف يحاولون الاستخفاء منه وهم يواجهون آياته يتلوها رسوله... فالتعبير هكذا يلمس وجدانه -أي المعرض- ويوقظه، ويهزه هزة عميقة إلى هذه الحقيقة التي قد يسهو عنها" ⁽⁵⁹⁾.

(56) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) (6/ 97).

(57) يُنظر بقية الأقوال في النكت والعيون: للماوردي (2/ 458).

(58) يُنظر النكت والعيون: للماوردي (2/ 458).

(59) في ظلال القرآن: سيد قطب (4/ 1855).

ثانيًا: مرحلة عدم اقتناع الأشقياء بمعجزات القرآن الكريم:

لمّا رأى المشركون بأنّ إعراضهم عن القرآن وعدم سماعه لا يجدي نفعًا من كبجه وعدم انتشاره، انتقلوا إلى مرحلة أخرى هي أشقى من سابقتها، وهي المرحلة الثانية من مراحل التمرد على القرآن، فقالوا: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ [سورة هود: 12]. قال أبو السعود: وهو قولٌ فيه تهاونٌ بالوحي وعدم اقتناعٍ بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عزّ وجل، وعلى حقيقة نبوته -صلى الله عليه وسلم- (60)، وقال الزمخشري: "كانوا يقترحون عليه آيات تعنتًا لا استرشادًا، لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم" (61) وهذا هو عين التمرد والشقاء الذي يُحال أن يحصل معه المرء على سبيل للهداية، لأنّ حالهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة الأنفال: 23].

الأسلوب الذي واجههم به النبي -صلى الله عليه وسلم-:

من صور استخفاف الأشقياء أنهم طلبوا مزيدًا من المعجزات تعنتًا لا طلبًا للهداية، وطلبهم هذا ليس على الله بعزيز، ولكنّ وظيفته -صلى الله عليه وسلم- مقتصرة على البلاغ، فكان الأسلوب الذي واجه به تمردهم هذا أنّه مبلغ من ربّه، فقال سبحانه بعد طلبهم التعنتي: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ [سورة هود: 12]، "أي: إنك لست برب" (62)، و"ليس عليك إتيان ما سألوها، إنما ذلك تحكم منهم على الله تعالى وأماني، فعليك إبلاغ ما أنزل إليك؛ كقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا أَلْبَلَعُ﴾ [سورة الشورى: 48]" (63)، و"الذي فوض إليك هو النذارة لا تحصيل هدايتهم" (64).

ولعل في الاختصار على النذارة من قوله ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ دون البشارة تهديد لهم بعد تمردهم على القرآن، بخلاف مطلع السورة، إذ ذكر فيها البشارة والنذارة فقال: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾؛ لأنها دعوة للناس كافة، فقد

(60) يُنظر: إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (191/4).

(61) الكشاف: للزمخشري (362/2).

(62) تفسير يحيى ابن سلام: (483/1).

(63) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) (105/6).

(64) البحر المحيط: لأبي حيان (129/6).

استجاب أقوام فنالوا البشارة، وأعرض آخرون فبائوا بالخسارة عاقبة النذارة، قال صاحب الظلال: "وأبرزَ صفةَ النذيرِ هنا لأنَّ المقام يستوجبها مع أمثال هؤلاء"⁽⁶⁵⁾.

ثالثاً: مرحلة تكذيب الأشقياء للقرآن الكريم:

تكذيب الأشقياء للقرآن الكريم ناتج عن أسباب عدّة ذكرها الله تعالى في كتابه، منها العجز عن الإتيان بمثله، كما في قوله تعالى: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا} [سورة الأنفال: 31]. ثم لما عجزوا قالوا: {إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [سورة الأنفال: 31]، ومنها أن الكذب ملازم للكفر كما قال الله تعالى: {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ} [سورة البروج: 19]، {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ} [سورة الانشقاق: 22]. ومنها الكبر⁽⁶⁶⁾، والران الذي على قلوبهم⁽⁶⁷⁾ ونحو ذلك.

وفي السورة محل الدراسة يذكر الله تعالى مظهرًا من مظاهر تمرد كفار قريش من تكذيبهم للقرآن، فبعد أن أضرب المولى سبحانه وتعالى عن قولهم: {لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ} [سورة هود: 12]، شرع في ذكر ارتكابهم لما هو أشد من ذلك وهو افتراؤهم عليه بأنه افتراه⁽⁶⁸⁾، فقال سبحانه: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} وأم **منقطعة** بمعنى: بل، قالوا: إنما يقول محمد هذا القرآن من تلقاء نفسه⁽⁶⁹⁾، إذ الضمير البارز في افتراه عائد إلى القرآن⁽⁷⁰⁾ والاستفهام للتوبيخ والتفريع⁽⁷¹⁾، وقيل بأن أم متصلة والتقدير: أيكثفون بما أوحينا إليك، وهو ما في الإعجاز، أم يقولون ليس من عند الله⁽⁷²⁾.

(65) في ظلال القرآن: سيد قطب (4/ 1861).

(66) قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [سورة الأعراف: 36].

(67) قال تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [سورة الأنعام: 25].

(68) يُنظر: إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (4/ 191)، فتح القدير: للشوكاني (2/ 486).

(69) يُنظر: تفسير مقاتل بن سليمان (2/ 111)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد: للواحدي (2/ 566).

(70) يُنظر: درج الدرر في تفسير الآي والسُور: للجرجاني (2/ 97)، والكشاف: للزمخشري (2/ 363)، فتح القدير: للشوكاني (2/ 486).

(71) يُنظر: إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (4/ 191)، فتح القدير: للشوكاني (2/ 486).

(72) يُنظر: جامع البيان: للطبري (15/ 259)، محاسن التأويل: للقاسمي (6/ 80).

"والافتراء: الكذب الذي لا شبهة لصاحبه، فهو الكذب عن عمد"⁽⁷³⁾، والزعم بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد افتراه يستلزم التكذيب به لا محالة.

الأسلوب الذي واجههم به النبي -صلى الله عليه وسلم-:

سبق وأن ذكرنا أن من أسباب تكذيب الأشقياء للقرآن هو عجزهم عن الإتيان بشيء من مثله، فكان الأسلوب المناسب لمواجهتهم هو تحديهم بأن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله، لكشف هذا العجز الذي تلبسوا به من جهة، ولبيان أن القرآن من عند الله لا من عند البشر من جهة أخرى، فقال سبحانه وتعالى أمرًا النبي -صلى الله عليه وسلم- بالردّ على تمردهم هذا بقوله: {قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ} [سورة هود:13]، فإن هم عجزوا عن ذلك -وهو ما حصل لهم- فلهم أن يستعينوا بمن شاءوا، فقال: {وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ} [سورة هود:13] "إلى المعاونة على المعارضة {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [سورة هود:13] أنه مفتري" (74)، قال الشوكاني: "ثم أمره الله سبحانه أن يجيب عليهم بما يقطعهم ويبين كذبهم ويظهر به عجزهم" (75).

وفي ختام هذا المطلب فإن المتأمل في هذه المراحل الثلاث من مراحل التمرد على القرآن الكريم يخلص إلى أن المرحلة الأولى -وهي مرحلة الأعراض بأي صورة من صور الإعراض عنه وعدم سماعه- هي سبب لما بعدها من المراحل، بل وسبب لبقية مظاهر التمرد على النبي -صلى الله عليه وسلم-، يقول الله تعالى: {وَمَنْ يَعَشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} [سورة الزخرف:36]، فأى شيء يقود المعرض إلى تمرده سوى الشيطان المُقِضْ له بسبب إعراضه، والمتمردون قديمًا وحديثًا ما تمردوا على الحق وضلوا الطريق إلا لإعراضهم عن كلام الله، سواء أكان إعراضًا سماعيًا كما هو الحال مع كفار قريش، أو إعراضًا عمليًا كما هو الحال مع متمردي اليوم.

(73) التحرير والتنوير: لابن عاشور (19/12).

(74) مدارك التنزيل: للنسفي (50/2).

(75) فتح القدير: للشوكاني (486/2).

المطلب الثاني: إنكار البعث، واستعجال العذاب، وأساليب مواجهة ذلك.

أولاً: إنكار كفار قريش للبعث:

من لوازم دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- إبلاغ الناس كافة باليوم الآخر، وما فيه من بعث وحساب، وثواب أو عقاب، فأمن بذلك أقوام وأنكره آخرون، قال تعالى واصفاً حال المنكرين المتمردين عن هذا الأمر: {وَلَيْنَ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} [سورة هود: 7]، قال أبو منصور الماتريدي⁽⁷⁶⁾: وهذا من سفههم إذ اعتادوا نسبة كل شيء إلى السحر، حتى الأشياء التي لا تحتل السحر وهو الإخبار؛ لأن السحر إنما يكون في تقليب الأشياء، وأما فيما يخبر عن شيء يكون فلا.

وسبق أن بيّنا في المطلب السابق أن الأشقياء من كفّار قريش كذبوا بالقرآن جملة واحدة، وإنكارهم للبعث هنا هو جزء من تكذيبهم للقرآن أيضاً، فقد قالوا: {إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ}، قال الزمخشري: "لأن القرآن هو الناطق بالبعث، فإذا جعلوه سحراً فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره"⁽⁷⁷⁾، ومن قرأ: "ساحر"⁽⁷⁸⁾ رده إلى محمد (-صلى الله عليه وسلم-) ⁽⁷⁹⁾، هذا على أن الإشارة إلى القرآن، وقيل أنها إشارة إلى القول أي: إن قولك إنكم مبعوثون إلا سحر، أي: بطلان هذا القول كبطلان السحر، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما دلت عليه الجملة من البعث⁽⁸⁰⁾، وعلى كل الاحتمالات في المشار إليه فقولهم هذا تكذيب للقرآن وتمرد على ما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وسبب استبعادهم البعث بعد الموت يعود لتقاصر علومهم عن التحقق بكمال قدرة الحق، ولو عرفوا ذلك لأيقنوا أن البعث ليس بمعضل في الإيجاد ولا بمستحيل في التقدير⁽⁸¹⁾.

(76) يُنظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) (101/6).

(77) الكشاف: للزمخشري (361/2).

(78) قرأ حمزة والكسائي "ساحر"، يُنظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: عبد الفتاح القاضي (151/1).

(79) الكشف والبيان: للثعلبي (159/5).

(80) البحر المحيط: لأبي حيان (126/6).

(81) يُنظر: لطائف الإشارات: للقسيري (125/3).

الأسلوب الذي واجههم به النبي -صلى الله عليه وسلم-:

جرت عادة القرآن في هذا السورة أن الله تعالى يذكر صورة تمرد كفار قريش على النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن ثم يأتي الأسلوب المناسب لمواجهة هذا التمرد، ولكن في هذه الصورة من التمرد فقد ذكر الله تعالى الأسلوب الحكيم للرد على تمردهم ومن ثم ذكر صورة التمرد، إذ ردّ عليهم بآيتين من آيات قدرته وصنعه الحكيم، الأولى: قوله سبحانه تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [سورة هود:7]، قال الزجاج: "وأعلمهم الله - عز وجل - أن القدرة على خلق السماوات والأرض تدل على بعث الموتى" (82) "وكان المشركون يُكذِّبون بأنه يبعث الموتى، ويقولون أنه خالق السماوات والأرض" (83)، وفي هذا تناقض عجيب، فكيف للذي يقر بأن الله خالق السماوات والأرض أن ينكر ما هو أهون على الله من خلقهن، وهو البعث، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ} [سورة الشورى:29].

والثانية قوله سبحانه: {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ}، قال الواحدي: وفي وقوف العرش على الماء، والماء على غير قرار أعظم الاعتبار لأهل الإنكار (84).

فالأسلوب الذي واجه به النبي -صلى الله عليه وسلم- الأشقياء إنكارهم البعث هو لفت انتباههم إلى عظيم خلق الله تعالى، وقدرته على ما هو أعظم من البعث والنشور، قال ابن عاشور: "فالمقصود من هذا الخبر لازمه وهو الاعتبار بسعة علمه وقدرته" (85)، ويقول صاحب الظلال: "ومن ثم يبدو التأكيد بالبعث والحساب والجزاء عجيبة غريبة في هذا الجو... فما أعجبها قولة، وما أغربها، وما أكذبها في ظل هذا البيان الذي تقدمها" (86).

(82) معاني القرآن وإعرابه: للزجاج (40/3).

(83) معاني القرآن وإعرابه: للزجاج (39/3).

(84) التفسير الوسيط: للواحدي (565/2).

(85) التحرير والتنوير: لابن عاشور (7/12).

(86) في ظلال القرآن: سيد قطب (4/1859).

ثالثاً: استعجال كفار قريش بالعذاب:

من أبرز صور تمرد كفار قريش على النبي -صلى الله عليه وسلم- التكذيب بكل ما جاء به، فتارة يكون التكذيب مباشرة، وتارة يكون بصيغة سؤال تعنتي كما سبق، وأحياناً بصيغة سؤال استهزائي، وفي الموضع محل الدراسة اختلف أهل التفسير في الصورة التي ظهر بها تمردهم على النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى: **وَلَيْنَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ** {سورة هود: 8}.

قال الماوردي: وفي قولهم ذلك وجهان: أحدهما: أنهم قالوا ذلك تكديباً للعذاب لتأخره عنهم⁽⁸⁷⁾، وهو قول الطبري، حيث قال: "يقول: {لَيَقُولُنَّ} هؤلاء المشركون {مَا يَحْبِسُهُ}؟ أي شيء يمنعه من تعجيل العذاب الذي يتوعدنا به؟ تكديباً منهم به، وظناً منهم أن ذلك إنما أخر عنهم لكذب المتوعد"⁽⁸⁸⁾.

الثاني: أنهم قالوا ذلك استعجالاً للعذاب واستهزاء، بمعنى ما الذي حبسه عنا؟⁽⁸⁹⁾، "على وجه الاستهزاء"⁽⁹⁰⁾، وإن كان هذا القول أظهر؛ لقوله تعالى في تذييل الآية: **(وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)** ولكن الجمع بين القولين أولى، فهم ما استهزأوا إلا لأتهم كذبوا، قال الواحدي: "يقولون ذلك تكديباً واستهزاء"⁽⁹¹⁾.

الأسلوب الذي واجههم به النبي -صلى الله عليه وسلم-:

مظهر التمرد على الأنبياء واستعجال العذاب هو دين أهل الكفر من كل الأمم، وقد كانت الأمم السابقة تتال نصيبها من ذلك عاجلاً في الحياة الدنيا، بينما هذه الأمة مؤجلة العذاب، فكان الأسلوب الأمثل لمواجهة متمرد قريش باستعجالهم العذاب تكديباً واستهزاءً هو التهديد والوعيد، فقال تعالى ردّاً على استعجالهم هذا: **(أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)** {سورة هود: 8}، قال البقاعي: "وهو تهديد

(87) النكت والعيون: للماوردي (2/ 460).

(88) جامع البيان: للطبري (15/ 254)، وبه قال ابن عطية، يُنظر: المحرر الوجيز (2/ 169).

(89) النكت والعيون: للماوردي (2/ 460).

(90) بحر العلوم: للسمرقندي (2/ 120)، وبه قال البيضاوي، يُنظر: أنوار التنزيل (3/ 129).

(91) التفسير الوسيط: للواحدي (2/ 565)، وبهذا الجمع قال الزمخشري، يُنظر: الكشاف (2/ 362).

لهم بأنه آتهم عن قريب فليعتدوا لذلك" (92) ويقول ابن عاشور: " وهذا تهديد وتخويف بأنه لا يصرف عنهم ولكنه مؤخر" (93)، ومعنى {وَحَاقَ} أي: حل وأحاط، وهي مستعملة في المكروه (94).

ويتلخص عناد المشركين وتهكمهم وتمردهم على دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا المطلب أنهم إذا أخبرهم بالبعث وأن شركهم سبب لتعذيبهم جعلوا كلامه سحراً، وإذا أنذرهم بعقوبة العذاب على الإشراك استعجلوه، فإذا تأخر عنهم إلى أجل اقتضته الحكمة الربانية استفهموا عن سبب حبسه عنهم استفهام تهكم ظناً أن تأخره عجز (95).



(92) نظم الدرر: للبقاعي (506/3).

(93) التحرير والتنوير: لابن عاشور (10/12).

(94) يُنظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (3/169).

(95) يُنظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (10/12).

المطلب الثالث: الافتراء على الله، والصد عن سبيله، والكفر باليوم الآخر، وأساليب مواجهة ذلك.

أولاً: الافتراء على الله:

والافتراء: هو العظيم من الكذب، يقال لمن عمل عملاً فبالغ فيه: إنه ليفري الفري، وقيل هو الكذب عن عمد وأما الكذب لا عن عمد ليس بافتراء⁽⁹⁶⁾، ويتفاوت جرم الافتراء بحسب المُفْتَرَى عليه، ف"الافتراء على الله تعالى أعظم أنواع الظلم"⁽⁹⁷⁾، قال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} [سورة هود: 18]، وهذا الضرب من الافتراء هو أحد مظاهر تمرد كفار قريش على النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومناسبة الآية لما قبلها أنه "لما انقضى الكلام من إبطال زعمهم أَنَّ النبي (-صلى الله عليه وسلم-) افتري القرآن ونسبه إلى الله، وتعجيزهم عن برهان لما زعموه، كَرَّ عليهم أن قد وضح أنهم المفترون على الله عدة أكاذيب، منها نفيهم أن يكون القرآن منزلاً من عنده"⁽⁹⁸⁾.

وصورة الافتراء المراد في الآية أن يُسندَ إليه تعالى ما لم ينزله، أو يُنفى عنه ما أنزله⁽⁹⁹⁾، والمتمردون من كفار قريش أسندوا إليه ما لم ينزله حين قالوا عن أصنامهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وأنَّ الملائكة بنات الله، ونفوا عنه ما أنزله بأن أضافوا كلامه سبحانه إلى غيره⁽¹⁰⁰⁾.

قال الألوسي: "والمراد من الآية ذم أولئك الكفرة بأنهم مع كفرهم بآيات الله تعالى مفترون عليه سبحانه، ويجوز أن تكون لنوع آخر من الدلالة على أن القرآن ليس بمفتري، فإن من يعلم حال من يفترى على الله سبحانه كيف يرتكبه، وأن تكون من الكلام المنصف، أي لا أحد أظلم مني أن أقول لما ليس بكلام الله تعالى إنه كلامه كما زعمتم، أو منكم إن كنتم نفيتم أن يكون كلامه سبحانه مع تحقق أنه كلامه جل وعلا، وفيه من الوعيد والتهويل ما لا يخفى"⁽¹⁰¹⁾.

(96) يُنظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: لأبي البقاء الحنفي (ص: 154) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون:

عبد النبي بن عبد الرسول الأحمدي نكري (99/1).

(97) أنوار التنزيل: للبيضاوي (3/ 131).

(98) التحرير والتنوير: لابن عاشور (12/ 32).

(99) يُنظر: أنوار التنزيل: للبيضاوي (3/ 131).

(100) يُنظر: فتح القدير: للشوكاني (2/ 490)، روح المعاني: للألوسي (6/ 231)، محاسن التأويل: للقايسي (6/ 84).

(101) روح المعاني: للألوسي (6/ 231).

الأسلوب الذي واجههم به النبي -صلى الله عليه وسلم-:

مع تعدد صور تمرد المتمردين تعددت أساليب مواجهتهم، فالذي استغشى ثيابه ولم يسمع القرآن وتوقف عند هذه الصورة، بخلاف من سخر وكذب بآيته وافترى على الله الكذب، ففي الصورة الأولى بين لهم أن الله تعالى مطلع على كل ما خفي وما أعلن، أما في الافتراء عليه فقد تهددهم ووعدهم بفضحهم على رؤوس الأشهاد، بل ولعنهم؛ كونهم ظالمين، فقال سبحانه: {أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ أَلَّا شَهِدُوا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} (سورة هود: 18).

ثانياً: الصدّ عن سبيل الله والكفر باليوم الآخر:

قوله تعالى: {الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} (سورة هود: 19).

وصفت الآية الكريمة الظالمين الذين يفترون على الله الكذب بصفات ثلاث، الأولى: الصدّ عن سبيل الله تعالى، أي أنهم "يصدون الناس، عن الإيمان به، والإقرار له بالعبودية، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد من مشركي قريش، وهم الذين كانوا يفتنون عن الإسلام من دخل فيه" (102)، والثانية الزيغ عن طريق الاستقامة، وذلك من خلال قوله: {وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا} أي: "يلتمسون سبيل الله... زيغا وميلا عن الاستقامة" (103)، وقال ابن أبي حاتم: أي: "يرجون بمكة غير الإسلام ديناً" (104)، والثالثة الكفر باليوم الآخر، وهي سبب رئيس للصفتين السابقتين؛ إذ أن الكافر باليوم الآخر لا ينزجر عن فعل ما ينافي عظمة وهول ذلك اليوم.

والتأمل في مظاهر تمرد كفار قريش على النبي -صلى الله عليه وسلم- يجد أنها بدأت بالإعراض عن القرآن وعدم سماعه حتى أوصلتهم في نهاية المطاف إلى الكفر بالله وباليوم الآخر، وفي هذا أن المرء يحذر على نفسه من كل ما من شأنه أن يغضب الله تعالى وألا يستهين بفعل دون آخر، إذ قد يكون سبباً في بداية تمرده على مولاه.

(102) جامع البيان: للطبري (15 / 265).

(103) المرجع السابق: (15 / 265).

(104) تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم (6 / 2018).

الأسلوب الذي واجههم به النبي -صلى الله عليه وسلم-:

لَمَّا كَانَ الصَّدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِمَثَابَةِ الْحَرْبِ وَالْمُجَاهَدَةِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، بَيْنَ لَهُمْ وَزَنَهُمْ وَقَدَّرْتَهُمْ عَلَى حَقِيقَتِهَا، وَأَنْ فَعَلَهُمْ هَذَا لَا يَجْدِي نَفْعًا أَمَامَ اللَّهِ تَعَالَى؛ لَضَعْفِهِمْ وَقِلَّةِ حِيلَتِهِمْ وَهَوَانِهِمْ عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ وَبَالَ عَلَيْهِمْ لَا أَكْثَرَ، فَقَالَ: {أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ}، قال ابن عباس: لم يعجزوني أن أمر الأرض فتخسف بهم (105).

وفي خاتمة هذا المبحث الذي يشكل صلب البحث فإن المتأمل في الأساليب التي واجههم بها النبي -صلى الله عليه وسلم- يجد أن كثيرًا منها -خاصة التي تحمل في طياتها التهديد والوعيد- هي عقوبات للمتمردين الأشقياء، إذ أن من المبادئ الثابتة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- مبدأ الثواب والعقاب، وكلاهما في هذه الأمة -غالبًا- ما يؤجلا إلى اليوم الآخر، وقد يُعجلا أو يُعجل أحدهما في هذه الحياة الدنيا، ولا يكون هذا المبدأ إلا بعد إرسال الرسل، وإنزال الكتب، قال تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [سورة الإسراء: 15]، وقال تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [سورة النساء: 165]، فبعد أن طالب النبي -صلى الله عليه وسلم- قومه بمطالب -سبق ذكرها-، وبين لهم أنه نذير وبشير فأعرضوا عنه وتمردوا عليه استحقوا هذه العقوبات جزاء وفاقًا، فمن العقوبات الدنيوية أنهم هيتون ضعفاء لا قيمة لهم ولا وزن عند الله، وذلك في قوله تعالى: {أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ} [سورة هود: 20]، وأما العقوبات التي تنتظرهم في الآخرة فكثيرة، منها أنهم أصحاب النار، وأن صنيعهم محبط وعملهم باطل، وأنهم سيُعرضهم على رؤوس الأشهاد ويلعنون؛ كونهم ظالمين، وأنهم من الخاسرين، بل وخُتِمت السورة بالتهديد الواضح لهم، حيث قال تعالى: {وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ} (١٢١) {وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} (١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [سورة هود: 121-123].

(105) التفسير الوسيط: للواحدى (2/ 569).

المبحث الثالث: أثر تمرد كفار قريش على النبي -صلى الله عليه وسلم- وتسليته ربه له

اقتضت حكمة الله تعالى أن يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس، كما اقتضت حكمته أن يرسل الملائكة لمن اصطفاهم من الناس، وأن يرسل للناس جميعاً رسلاً منهم؛ يقول ابن كثير: ولو بعث الله إلى البشر رسولا ملكياً لكان على هيئة رجل؛ لثَقَمَ مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه ⁽¹⁰⁶⁾، وقد بين الله تعالى لنا بشرية النبي -صلى الله عليه وسلم- في أكثر من موضع من كتابه العزيز مع ما ميّزه عنا بالعصمة من الزلل -فقال: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ) [سورة الكهف: 110]، ويقول -صلى الله عليه وسلم-: ((إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني)) ⁽¹⁰⁷⁾، ولما كان الأمر كذلك كان لابد للنبي -صلى الله عليه وسلم- أن يعتريه ما يعترى البشر من حزن وسرور، وفرح وغضب ونحو ذلك؛ كونه من جنسهم، ومع موجة التمرد عليه من قبل قومه بصورها ومظاهرها آنفة الذكر فقد تأثر -صلى الله عليه وسلم- لذلك وحزن حزناً شديداً، وما كان الله ليذر نبيه على ما هو عليه من الحزن والأسى، ولكنه واساه وسلاه عما أصابه من قومه، وأذهب عنه ما وجد في نفسه، بل وتوعد الأشقياء من قومه بالعذاب الأليم، وكانت هذه القضايا حاضرة في أكثر من موضع من سورة هود، وقد تمت دراستها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: أثر تمرد كفار قريش على النبي -صلى الله عليه وسلم-:

قال الله تعالى: (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ) [سورة هود: 17].

مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذَكَرَ في بدء السورة فعلهم المتمثل بقوله: (يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) [سورة هود: 5]؛ كي لا يسمعه، وقولهم في القرآن: {إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} [سورة هود: 7]؛ كي يصدوا الناس عنه، أردف ذلك بذكر تكذيبهم للرسول -صلى الله عليه وسلم- والقرآن، وبيان أن همه وحزنه -صلى الله عليه وسلم- من كلامهم، قد بلغ كل مبلغ ⁽¹⁰⁸⁾.

(106) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (241/3)

(107) صحيح البخاري كتاب: الصلاة، باب: التوجه نحو القبلة، حديث رقم: (392)، (156/1)، صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: السهو في

الصلاة والسجود له، حديث رقم: (1311)، (85/2)

(108) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: للهرري (9/13).

وللمفسرين في معنى الآية قولان، الأول منها: أن كفار مكة لما تمردوا عليه وطلبوا منه الآيات على سبيل العناد في قولهم: {لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ} [سورة هود: 12]، وطلبوا منه أن لا يعيب آلهتهم، هم النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن يترك عيبيها رجاء أن يتبعوه فنزل قوله تعالى: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ} من أمر الآلهة " {وَصَاحِقٌ بِهٖ صَدْرُكَ} في البلاغ (109)، قال مقاتل: "أراد أن يحرضه على البلاغ" (110)، "وإن كان معلوما أنه لا يترك؛ كقوله: {لَوْلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [سورة الأنعام: 14]. {فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُحَرِّمِينَ} [سورة البقرة: 147]، وأمثاله" (111)، و"يقال عند القرب إلى الفعل والدنو منه؛ كقوله: {لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا} [سورة الإسراء: 74] (112)".

القول الثاني: أن الكفار كانوا يستهزئون بالقرآن، وَيَضْحَكُونَ منه، ويتهاونون به، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يضيق صدره لذلك، وأن يُلقَى إليهم ما لا يقبلونه، ويستهزئون به، فأمره الله سبحانه بتبليغ ما أوحى إليه، وأن لا يَلْتَقِ إِلَى استهزائهم، وأنَّ تحمّل هذا الضّرر أهون من كتم شيء من الوحي (113)، قال الواحدي: "أي: لعظيم ما يرد على قلبك من تخليطهم، تتوهم أنهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه من أمر ربك، {وَصَاحِقٌ بِهٖ صَدْرُكَ} يريد: وضائق به صدرك بأن يقولوا: {لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ} (114)، فتترك الوحي على القولين ناتج عن تمردهم عليه، وأما ضيق الصدر فعلى القول الأول أي: من بلاغ الوحي الذي من جملة تسفيه آلهتهم التي يدعونها من دون الله، وعلى القول الثاني أي من تكذيبهم وتمردهم عليه.

وعلى كلا القولين السابقين في معنى الآية فإن لها دلالة واضحة مفادها أن تمرد كفار قريش ترك أثر بالغاً في نفس النبي -صلى الله عليه وسلم-، تجلّى هذا الأثر أكثر وأكثر في معنى الآية على القول الثاني، وهو مع هذه الحالة فقد احتيج إلى مؤازرة وتثبيت وتسلية من الله تعالى ليمضي قدماً في تبليغ دينه ورسالته، وهو ما سنقف عليه في المطلب التالي.

(109) يُنظر: جامع البيان: للطبري (258/15)، بحر العلوم: للسمرقندي (141/2)، الكشف والبيان: للثعلبي (5/158).

(110) تفسير مقاتل بن سليمان (111/2).

(111) تأويلات أهل السنة: للماتريدي (104/6).

(112) تأويلات أهل السنة: للماتريدي (104/6).

(113) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: للهرري (9/13).

(114) التفسير الوسيط: للواحدى (566/2).

المطلب الثاني: تسليية الله تعالى للنبي -صلى الله عليه وسلم-:

تتشترك سور القرآن -ذات الطابع القصصي- في كثير من القضايا، منها الوظيفة التي يشترك في حملها جميع الرسل، وبيان سنن الله في خلقه تسليية للنبي -صلى الله عليه وسلم- ومن معه، ونحو ذلك، وبعض هذه السور تذكر القصة دون التصريح بما يجب على النبي -صلى الله عليه وسلم- فعله، وإنما يفهم من خلال إيرادها أنها للعة والعبرة، وأن العاقبة للمتقين، كما هو الحال مع سورة نوح مثلاً، فقد ذكر الله تعالى فيها قصته مع قومه فحسب دونما تسليية أو توجيه مباشر، بينما بعض هذه السور تصرّح في ثناياها بتسليية وإيناس النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن معه من الثلة المؤمنة إزاء ما يلقيه من قومه، ومن هذا السور سورة هود -محل الدراسة-، وفي هذا يقول الطيبي -في حاشيته على الكشف-: "ثم إنك -أيها المتأمل- إذا أمعنت النظر، وجدت هذه السورة الكريمة إلى خاتمتها مؤسسة على تسليي الحبيب، ودفع نسبة الافتراء من التنزيل، ألا ترى حين شرع في قصة نوح عليه السلام، وقبل أن يسردها، كيف أتى بقوله: {أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَلَهُ} [سورة هود: 35] عاطفاً على مثلها بعد الكلام الطويل، ولهذا ذهب مقاتل⁽¹¹⁵⁾ إلى أنها في محمد صلوات الله عليه، وإن توسّطت بين قصة نوح عليه السلام، ولما استوفى حقها جاء بقوله: {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ} [هود: 49] مزيداً للتسليي، وحين ختم السورة الكريمة جاء بقوله: {وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [سورة هود: 120] إلى قوله: {وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ} [سورة هود: 121]"⁽¹¹⁶⁾.

ونسعى في هذا المطلب إلى الوقوف مع الآيات التي سلّى الله تعالى فيها النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهي أكثر مما ذكره الطيبي سابقاً، وقد أتت حسب الترتيب أو التشابه على النحو الآتي:

الموضع الأول: قوله تعالى: {إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [سورة هود: 12].

أتت هذه التسليية من الله تعالى بعد أن تسلل أثر تمردهم إلى قلبه -صلى الله عليه وسلم-، وأخذ من عزيمته مأخذه كما عرفنا في المطلب السابق، فقال له ربه: {إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [سورة

(115) يُنظر: تفسير مقاتل بن سليمان (116/2).

(116) يُنظر: حاشية الطيبي على الكشف (32/8).

هود:12]"أي هذا القدر هو الذي فُوض إليك، والله تعالى بعد ذلك هو الوكيل الممضي لإيمان من شاء وكفر من شاء" (117).

قال القاسمي: "لما لم يقبلوا كلامه -صلى الله عليه وسلم- بالإرادة، وأنكروا قوله بالافتراحت الفاسدة، وقوله بالعناد والاستهزاء، ضاق صدره، ولم ينبسط للكلام، إذ الإرادة تجذب الكلام، وقبول المستمع يزيد نشاط المتكلم، ويوجب بسطه فيه، وإذا لم يجد المتكلم محلاً قابلاً لم يتسهل له، وبقي كرباً عنده، فشجعه الله تعالى بذلك، وهيج قوته ونشاطه بقوله: {إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ}، فلا يخلو إنذارك من إحدى الفائدتين: إما رفع الحجاب بأن ينجع فيمن وفقه الله تعالى لذلك، وإما إلزام الحجة لمن لم يوفق لذلك، ثم كل الهداية إليه (118). وفي هذا أن الداعية إلى الله تعالى لا ييأس من دعوة الناس، ولا يحملنه أذى الأشقياء وتمردهم عليه ترك دعوتهم فضلاً عن دعوة غيرهم.

الموضع الثاني: وفيه آيتان متشابهتان، الآية الأولى قوله تعالى: {فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ أَحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ} [سورة هود:17]. أي "فلا تك في شك منه، من أن موعد من كفر بالقرآن من الأحزاب النار (119)، وأن هذا القرآن (120) الذي أنزلناه إليك من عند الله" (121)، والنهي مستعمل كناية تعريضية بالكافرين بالقرآن (122)، وإلا فما شك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما أوحى إليه، ولا امتري - وهو على بينة من ربه - ولكن هذا التوجيه الرباني عقب حشد هذه الدلائل والشواهد يشي بما كان يخالغ نفس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من ضيق وتعب ووحشة من جراء تجرد الدعوة وكثرة المعاندين، تحتاج كلها إلى التسرية عنه بهذا التوجيه والتثبيت. وكذلك ما كان يخالغ قلوب القلة المسلمة من ضيق وكرب يحتاج إلى برد اليقين يتنزل عليهم من ربهم الرحيم" (123).

الآية الثانية قوله تعالى: {فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَؤُلَاءِ} [سورة هود:109]، الفاء استئنافية والجملة مسوقة للدلالة على ما أحدثته القصص السالفة في نفسه -صلى الله عليه وسلم- من أثر، وأن عكوف كفار قريش

(117) المحرر الوجيز: لابن عطية (171/3).

(118) محاسن التأويل: للقاسمي (79/6).

(119) وهو قول ابن عباس، يُنظر: زاد المسير: لابن الجوزي (89/4).

(120) وهو قول مقاتل، يُنظر: تفسير مقاتل بن سليمان (113/2).

(121) جامع البيان: للطبري (279/15).

(122) يُنظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (30/12).

(123) يُنظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (4/1865).

على عبادة أصنامهم ليست من دواعي المثبطات لعزيمته⁽¹²⁴⁾، والمعنى: فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذا القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما أصاب أمثالهم قبلهم، وفي هذا تسليّة لرسول الله (-صلى الله عليه وسلم-)، وعدة بالانتقام منهم لتمردهم عليه، ووعيداً لهم بالعذاب⁽¹²⁵⁾ كما سيأتي في المطالب الآتي، "وما بالنبيّ الكريم شك ولا ارتياب، في أنّ ما يعبدّه قومه هو الضلال المودي بأهله والمورد لهم موارد الهلاك والبلاء، ولكن هذا النهي، هو تأكيد لما في قلب النبي من إيمان برّبّه، وتثبيت له على الطريق الذي هو قائم عليه، وإن لقي فيه ما لقي من ضرر وأذى!"⁽¹²⁶⁾.

وقيل بأنّ النهي موجّه لكل من شكّ، أي قل له يا محمد {فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَؤُلَاءِ} أن الله عز وجل ما أمرهم به، وإنما يعبدونها كما كان آباؤهم يفعلون تقليدا لهم⁽¹²⁷⁾، وعلى هذا القول لم يكن في الآية تسليّة للنبي -صلى الله عليه وسلم-؛ كونها موجّهة لقومه، ولكنّه قول غريب؛ إذ هو مخالف لظاهر النص من غير قرينة تدل عليه، كما أنّه مخالف لقول جمهور أهل التفسير، إذ لم يقل به إلا النزر اليسير من المفسرين⁽¹²⁸⁾ منهم القرطبي وابن عاشور، ومع إيراد ابن عاشور لهذا القول إلا أنّه أورد قول الجمهور في الآية، إذ قال: "ويجوز أن يكون تثبيتاً للنبيء -صلى الله عليه وسلم- على ما يلقاه من قومه من التصلب في الشرك"⁽¹²⁹⁾. وقد جمع صاحب الظلال بين القولين بقوله: أي "لا يتسرب إلى نفسك شك في فساد عبادة هؤلاء، والخطاب للرسول -صلى الله عليه وسلم- والتحذير لقومه، وهذا الأسلوب أفعل في النفس أحياناً... إهمالا لهم وقلة انشغال بهم! وعندئذ يكون لتلك الحقيقة الخالصة المجردة أثرها في اهتمامهم، أكثر مما لو خوطبوا بها خطاباً مباشراً"⁽¹³⁰⁾.

(124) إعراب القرآن وبيانه: محي الدين الدرويش (4/435).

(125) يُنظر: الكشف: للزمخشري (2/406)، البحر المحيط: لأبي حيان (6/215)، محاسن التأويل: للقايسي (6/132)، مدارك التنزيل: للنسفي (2/47).

(126) التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب (6/1204).

(127) يُنظر: الهداية الى بلوغ النهاية: لمكي بن طالب (5/3473)، الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (9/103) زهرة التفاسير: لأبي زهرة (7/3757).

(128) أول من قال به مكي بن طالب، وتابعه القرطبي وأبو زهرة وابن عاشور في أحد أقواله، يُنظر: الهداية الى بلوغ النهاية: لمكي بن طالب (5/3473)، الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (9/103)، زهرة التفاسير: لأبي زهرة (7/3757)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (12/167).

(129) التحرير والتنوير: لابن عاشور (12/167).

(130) في ظلال القرآن: سيد قطب (4/1930).

الموضع الثالث: قوله تعالى: {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ} [سورة هود: 49].

تعامل كثير من المفسرين مع الآية محل الدراسة بناءً على ظاهر معاني الألفاظ الواردة فيها، أما من حيث اللطائف والإشارات -من مواساة وتنبيت وتسلية للنبي -صلى الله عليه وسلم-- فلم يلتفت إليها إلا قليل منهم، وتتمثل التسليّة في الآية من قوله تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ}، يقول الطبري في المعنى أي: "على القيام بأمر الله وتبليغ رسالته، وما تلقى من مشركي قومك، كما صبر نوح" (131)، ويُقسم ابن عاشور الآية إلى امتنان وموعظة وتسليّة للنبي -صلى الله عليه وسلم-، فالامتنان من قوله: {مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا}، والموعظة من قوله: {فَاصْبِرْ}، والتسليّة من قوله: {إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ} (132)، وفي هذا تسليّة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتبشير له بأن الظفر للمتقين في عاقبة الأمر ولا اعتبار بمبادئه" (133).

الموضع الرابع: قوله تعالى: {وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} (134).

تأتي هذه الآية في خاتمة سورة هود خلاصة للعلل التي لأجلها أورد الله قصص من سبق من الأنبياء، مع بيان مظاهر تمرد أقوامهم عليهم وكيف واجهوهم، إذ أن الله تعالى طمان نبيه و"سكن بها قلبه بما قص عليه من أنباء المرسلين، وعرفه أنه لم يُرَقِّ أحداً إلى المحل الذي رَقَّاه إليه، ولم ينعم على أحد بمثل ما أنعم عليه" (134)، قال ابن عباس في معنى قول: {مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ} أي: ليزيدك يقينا ويقوي قلبك (135)، قال الخازن: "يعني ما نقوي به قلبك لتصبر على أذى قومك وتتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك؛ وذلك لأن النبي (-صلى الله عليه وسلم-) إذا سمع هذه القصص وعلم أن حال جميع الأنبياء مع أتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الأذى من قومه وأمكنه الصبر عليه" (136)، وعلل الواحدي ذلك بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا سمعها كانت تقوية لقلبه على الصبر على أذى قومه (137).

(131) جامع البيان: للطبري (15/356).

(132) يُنظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (12/92).

(133) تفسير حدائق الروح والريحان: للهرري (13/107).

(134) يُنظر: لطائف الإشارات: للقشيري (2/163).

(135) يُنظر: التفسير الوسيط: للواحدي (2/598).

(136) لباب التأويل: للخازن (3/259).

(137) يُنظر: التفسير الوسيط: للواحدي (2/598).

وتعليقاً على هذه التسلية العظيمة من الله تعالى للنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول صاحب الضلال: "ويا لله للرسول -صلى الله عليه وسلم- لقد كان يجد من قومه، ومن انحرافات النفوس، ومن أعباء الدعوة، ما يحتاج معه إلى التسلية والتسرية والتثبيت من ربه - وهو الصابر الثابت المطمئن إلى ربه" (138).

الموضع الخامس: قوله تعالى: {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [سورة هود: 1-123].

حوت الآية الكريمة جملاً عدّة، جلّها يشير إلى تطمين وتسلية النبي -صلى الله عليه وسلم- مما يلقاه من قوم، نقف مع ثلاث منها، قوله تعالى: {وَالَّذِي يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ} قال الطيبي: "هذه الكلمة جامعة، فيدخل فيها تسلية الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وتهديد الكفار، والانتقام منهم، دخولا أولياً" (139)، وقوله تعالى: {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} ثق به؛ فإنه كافيك (140)، قال الطبري: "يقول: فاعبد ربك يا محمد {وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}، يقول: وفوض أمرك إليه، وثق به وبكفايته، فإنه كافي من توكل عليه" (141).

وقوله تعالى: {وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} خاتمة تذهب حزنه -صلى الله عليه وسلم-، وتسلي قلبه عمّا يلقاه من تمرد قومه، أي: "فلا يحزنك إعراضهم عنك، ولا تكذيبهم بما جئتهم به من الحق، وامض لأمر ربك، فإنك بأعيننا" (142)، قال ابن كثير: "أي ليس يخفى عليه ما عليه مكذبوك يا محمد بل هو عليم بأحوالهم وسيجزئهم على ذلك أتم الجزاء في الدنيا والآخرة وسينصرك وحزبك عليهم في الدارين" (143).

(138) التفسير الوسيط: للواحيدي (2/ 598).

(139) حاشية الطيبي على الكشاف: للطبي (8/ 235).

(140) فتح الرحمن في تفسير القرآن (3/ 387).

(141) جامع البيان: للطبري (15/ 545).

(142) جامع البيان: للطبري (15/ 545).

(143) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (4/ 312).

المبحث الرابع: المنهج الرباني التحصيلي من نهج المتمردين، وفيه أربعة مطالب:

بعد أن ذكر الله تعالى صور تمرد كفار قريش على النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم أتبعها بصور تمرد كفار قريش على جملة من الأنبياء، ختم السورة الكريمة بمنهج وقائي للنبي -صلى الله عليه وسلم- ومن تبعه من الأتقياء، وكما أن هذا المنهج جاء خاتمة للسورة الكريمة فقد جعله الباحثان أيضًا خاتمة لهذا البحث، فهو بمثابة العلاج والحلول التي ينتظرها القارئ ليحصن نفسه ومن معه من نهج الأشقياء وتمردهم، وقد تمت دراسته في أربعة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: الاستقامة على مراد الله وعدم الطغيان:

قال تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [سورة هود: 1-112].

يقول الهري -في مناسبة الآية لما قبلها-: " أن الله سبحانه وتعالى لما بين أمر المختلفين في التوحيد، والنبوة وأطنب في وعدهم ووعدهم، أمر رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ومن تاب معه بالاستقامة"⁽¹⁴⁴⁾، ويظهر أيضًا أن للآية مناسبة للآيات الأولى من صدر السورة، فلما أمر الله نبيه أن يبلغ قومه عبادة الله وحده وأن يستغفروه ويتوبوا إليه، أمره بالاستقامة على هذا الأمر ومن استجاب من قومه وتاب معه من الشرك، كما أنه لما حذرهم من الشرك حذرهم ومن معه هنا من الطغيان، وهو مجاوزة الحد ومنه الشرك، وفي ختمه للآيات الأولى بالتهديد من اليوم الآخرة وقدرته وعلمه بذات الصدور، ختم الآية محل الدراسة بالعلم والبصر المطلق.

ومعنى الآية: أي فامض يا محمد بالتوحيد كما أمرت ومن تاب معك من الشرك، فليستقيموا معك، فامضوا على التوحيد، ولا تطغوا فيه، يقول: ولا تعصوا الله في التوحيد⁽¹⁴⁵⁾.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت، قال: «شيبتي هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت»⁽¹⁴⁶⁾، وقد جاء عند البيهقي أن الآية محل الدراسة هي سبب قوله -صلى الله عليه وسلم- للحديث أنف الذكر، فعن عبد الرحمن السلمي قال: سمعت أبا علي السري يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله روي عنك أنك قلت شيبتي هود! قال: نعم، فقلت: ما

(144) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: للهري (13/248).

(145) تفسير مقاتل بن سليمان (2/133).

(146) سنن الترمذي: باب: ومن سورة الواقعة (5/402)، سبق تخريجه.

الذي شيبك قصص الأنبياء و هلاك الأمم ؟ قال : لا و لكن قوله : {فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ} (147)، مما يدل أن الاستقامة على أمر الله ومراده أمر عزيز، ويحتاج إلى مجاهدة يشيب لها المرء، وأنها من أنجع الوسائل للوقاية من نهج الأشقياء، ومن ثم جعل الله تعالى الاستقامة مضبوطة بعدم المجاوزة فقال: {وَلَا تَطْغَوْا} قال الطبري: أي: "ولا تعدوا أمره إلى ما نهاكم عنه" (148)، قال ابن عاشور: "والطغيان أصله التّعاضم والجرأة وقلة الاكتراث ... والمراد هنا الجرأة على مخالفة ما أمروا به" (149)، وقيل: معناه ولا تغلوا فتزيدوا على ما أمرت ونهيت (150)، والطغيان -سواء أكان إفراطاً أو تقريظاً- منهى عنه في كل الأحوال.

قال صاحب الظلال: " النهي الذي أعقب الأمر بالاستقامة، لم يكن نهياً عن القصور والتقصير، إنما كان نهياً عن الطغيان والمجاوزة، وذلك أن الأمر بالاستقامة وما يتبعه في الضمير من يقظة وتحرج قد ينتهي إلى الغلو والمبالغة التي تحول هذا الدين من يسر إلى عسر، والله يريد دينه كما أنزله، ويريد الاستقامة على ما أمر دون إفراط ولا غلو، فالإفراط والغلو يخرجان هذا الدين عن طبيعته كالتقريط والتقصير، وهي النقائص ذات قيمة كبيرة، لإمساك النفوس على الصراط، بلا انحراف إلى الغلو أو الإهمال على السواء (151).

المطلب الثاني: عدم الركون إلى الظالمين:

قوله تعالى: {وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ} [سورة هود: 113].

الركون هو الميل إلى الغير والاستعانة به كما قال الله تعالى عن لوط: {قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ إِيَّائِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ} [سورة هود: 80]، ومعنى الآية: "ولا تميلوا إلى أهل الشرك، يقول: ولا تلحقوا بهم" (152)، قال الطبري: "ولا تميلوا، أيها الناس، إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله، فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم" (153)، وقال

(147) شعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1410 تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، باب: ذكر سورة هود (2/472).

(148) جامع البيان: للطبري (15/499).

(149) التحرير والتنوير (12/177).

(150) معالم التنزيل: للبغوي (2/468).

(151) في ظلال القرآن: سيد قطب (4/1931).

(152) تفسير مقاتل بن سليمان (2/134).

(153) جامع البيان: للطبري (15/500).

القشيري: "لا تعملوا أعمالهم، ولا ترضوا بأعمالهم، ولا تمدحوهم على أعمالهم، ولا تتركوا الأمر بالمعروف لهم، ولا تأخذوا شيئاً من حرام أموالهم، ولا تساكنتهم بقلوبكم، ولا تخالطوهم، ولا تعاشرهم" (154)، والآية على هذا القول عامة في كل ظالم وليست خاصة بأهل الشرك، قال القرطبي: "وهذا هو الصحيح في معنى الآية؛ وأنها دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم؛ فإن صحبتهم كفر أو معصية؛ إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة." (155).

وفي معنى الركون المنهي عنه يقول النيسابوري: "هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين الطريقة وتزيينها عند غيرهم ومشاركتهم في شيء من تلك الأبواب، فأما مداخلتهم لدفع ضرر واجتلاب منفعة عاجلة فغير داخل في الركون" (156)، ومن ابتلى بمخالطة من فيه ظلم من المسلمين فعليه أن يزن أقواله وأفعاله وما يأتي وما يذر بميزان الشرع، ومن قدر على الفرار منهم قبل أن يؤمر من جهتهم بأمر يجب عليه طاعته فهو الأولى له والأليق به (157) و"الآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم، والتهديد عليه، لأن هذا الوعيد الشديد إذا كان فيمن يركن إلى أهله، فكيف بمن ينغمس في حماته؟" (158).

المطلب الثالث: إقامة الصلاة ولزوم الصبر:

قوله تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفْلًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ} وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ [سورة هود: 113-114].

من أبرز وظائف الصلاة الحقيقية النهي عن الفحشاء والمنكر، كما قال الله تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [سورة العنكبوت: 45]، ومن المنكرات التي تعالجها التمرد، وعليه فالصلاة علاج ناجع وحصن حصين من الانزلاق في التمرد والشقاء، أو حتى من الرضا بسبيل المتمردين.

قال البقاعي في تناسب الآيات الداعية إلى التحصن من التمرد والشقاء: "ولما تم هذا على هذا الوجه الأعلى والترتيب الأولى، قال تعالى مادحاً له ليعرف مقداره فيلزم: {ثم} أي الأمر العالي الرتبة الذي تقدم من الترغيب

(154) لطائف الإشارات: للقشيري (500/15).

(155) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (108/9).

(156) غرائب القرآن ورجائب الفرقان: للنيسابوري (56/4).

(157) يُنظر: فتح القدير: للشوكاني (530/2).

(158) محاسن التأويل: للقاسمي (15/6).

والترهيب والتسلية وتعليم الداء والدواء للخلاص من الشقاء {ذَكَرَى} أي ذكر عظيم {لِلذَّاكِرِينَ} أي لمن فيه أهلية الذكر والانتباه به بحضور القلب وصفاء الفكر ونفوذ الفهم⁽¹⁵⁹⁾، ثم ختم الأوامر اللازمة للعبد بالأمر بالصبر، ومناسبة وقوعه عقب الأمر بالاستقامة والنهي عن الركون إلى الذين ظلموا، أن المأمورات لا تخلو عن مشقة عظيمة ومخالفة لهوى كثير من النفوس، فناسب أن يكون الأمر بالصبر بعد ذلك ليكون الصبر على الجميع كل بما يناسبه⁽¹⁶⁰⁾.

المطلب الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان عاقبة تركهما:

بعد أن ذكر الله تعالى جملة من الأوامر الملازمة لذات الفرد في النجاة من سلوك سبيل المتمردين، ختم الله تعالى تلك الأوامر بأمر متعد إلى الغير، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال تعالى: {قُلْ لَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ} [سورة هود: 116].

وأولو البقية هم أولو الدين كما قال ابن عباس⁽¹⁶¹⁾، ومن مهامهم النهي عن الفساد في الأرض، والفساد في الأرض: "هو الكفر وما اقترن به من المعاصي"⁽¹⁶²⁾، ويدخل في ذلك دخولاً أولياً الفساد المتعدي على الغير كالبغي والتمرد والاعتداء على المال العام وكل ما من شأنه أن يقلق السكينة العامة، وفي الآية تنويه بأصحاب النبي (-صلى الله عليه وسلم -) فإنهم أولو بقية من قریش يدعونهم إلى الإيمان حتى آمن كلهم ، وأولو بقية بين غيرهم من الأمم الذين اختلطوا بهم يدعونهم إلى الإيمان والاستقامة بعد الدخول فيه ويعلمون الدين ، كما قال تعالى فيهم: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} [سورة آل عمران: 110]، بل فيها تنبيه لأمة محمد -صلى الله عليه وسلم - كافة وحض على تغيير المنكر والنهي عن الفساد؛ كي لا يصيبها ما أصاب الأمم من قبلها⁽¹⁶³⁾.

(159) نظم الدرر: للبقاعي (587/3).

(160) يُنظر: التحرير والتنوير (182/12).

(161) التفسير الوسيط: للواحيدي (597/2).

(162) المحرر الوجيز: لابن عطية (228/3).

(163) يُنظر: المحرر الوجيز: لابن عطية (228/3)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (184/12).

يقول صاحب الظلال: "فالأمة التي يقع فيها الفساد بتعبيد الناس لغير الله، في صورة من صورته، فيجد من ينهض لدفعه هي أمم ناجية، لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير، فأما الأمم التي يظلم فيها الظالمون، ويفسد فيها المفسدون، فلا ينهض من يدفع الظلم والفساد، أو يكون فيها من يستتكر، ولكنه لا يبلغ أن يؤثر في الواقع الفاسد، فإن سنة الله تحقق عليها، إما بهلاك الاستئصال، وإما بهلاك الانحلال"⁽¹⁶⁴⁾.

وبين الطائفة التي حصّنها الله تعالى بالمنهج الرباني -آنف الذكر- من سبيل المتمردين وبين المتمردين الذين حذر الله منهم يأتي بيان لطائفة شغلّتهم ملذّاتهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم المترفون، حيث قال فيهم: {وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ} [سورة هود: 116]، قال الزمخشري: "تاركي النهي عن المنكرات، أي: لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعقدوا همهم بالشهوات، واتبعوا ما عرفوا فيه التمتع والتترّف، من حب الرياسة والثروة، وطلب أسباب العيش الهنيء، ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم"⁽¹⁶⁵⁾، وبسبب ترفهم وعدم أمرهم بالمعروف أو نهيههم عن المنكر لم يختلف حالهم عن حال المتمردين في ميزان الله تعالى، فقد وصفهم في ختام الآية بالمجرمين، "لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام، أو أريد بالإجرام إغفالهم للشكر... ويجوز أن يكون اعتراضاً وحكماً عليهم بأنهم قوم مجرمون"⁽¹⁶⁶⁾، وقال الطبري: "أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت فكفروا بالله، اتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا، فاستكبروا وكفروا بالله، واتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا، فاستكبروا عن أمر الله وتجبروا وصدوا عن سبيله"⁽¹⁶⁷⁾.

(164) في ظلال القرآن: سيد قطب (4/ 1933).

(165) الكشف: للزمخشري (2/ 412).

(166) الكشف: للزمخشري (2/ 413).

(167) جامع البيان: للطبري (15/ 229).

خاتمة البحث:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبشكره نُقِيْدُ النِّعَمَ والطَّيِّبَاتِ، وَتُجْلِبُ العَطَايا والبركات، والصلاة والسلام على محمد خير البريات، صلاة وسلاماً دائماً دائمين متلازمين ما دامت الأرض والسموات، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان عدد ما فات وما هو آت، وبعد:

فهذه خاتمة البحث الموسوم بـ "مظاهرُ تمرد كفار قريش على النبي -صلى الله عليه وسلم- والأساليب التي واجههم بها (سورة هود أنموذجاً)"، وقد توصل الباحثان إلى عدّة نتائج وتوصيات، وهي على النحو الآتي:

أولاً: النتائج:

1. إن الإعراض عما أنزل الله هو أول الأسباب وأبرزها للتمرد على الحق.
2. إن الداعي إلى الله لا شك سيعتريه الهم والغم من تمرد المدعويين، فعليه أن يتنبّه بما ثبت الله به نبيه صلى الله عليه وسلم.
3. إن إيراد تمرد كفار قريش في سورة هود مع تمرد الأمم السابقة إنّما هو لتثبيت النبي -صلى الله عليه وسلم- وتسليته، وقد ذكر الله ذلك صراحة في نهاية السورة.
4. وكما أن سورة هود ذكرت التمرد وأسبابه، فإنها في المقابل خُتِمت بمنهج يقي من الوقوع في شيء من ذلك.
5. إن اختلاف الأساليب التي استعملها النبي -صلى الله عليه وسلم- مع متمردي كفار قريش مرتبط باختلاف ودرجة التمرد الذي مارسوه، فالذي استغشى ثيابه ولم يسمع القرآن وتوقف عند هذه الصورة، بيّن له أنّ الله تعالى مطلع على كل ما خُفي وما أُعلن، وأمّا من افتري على الله الكذب فقد تهدده ووعد بفضحه على رؤوس الأشهاد، ومستحق للعن أيضاً.
6. كما أن تنوع هذه الأساليب فيها رسم للمنهج المتبع مع المتمردين على الحق في كل زمان ومكان، وأن يُعامل كل متمرّد بما يناسب تمرده.

ثانياً: التوصيات:

1. على الجهات المسؤولة -خاصة على العملية التعليمية- تفعيل العلاج الناجع الوارد في نهاية سورة هود؛ وذلك لتحصين المجتمع من نهج المتمردين.
2. عمل دراسة عن التمرد في العصر الحديث خاصة في الجانب السياسي، لمعرفة الدواعي والأسباب للتمرد مع استنباط الأساليب المناسبة لمواجهته والحلول لمعالجته خاصة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرن الكريم.
2. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود): لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
3. إعراب القرآن وبيانه: محي الدين الدرويش محي الدين الدرويش، دار النشر: دار الإرشاد. سورية، عدد الأجزاء / 10.
4. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418هـ.
5. بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، عدد الأجزاء: 3، دار النشر: دار الفكر - بيروت، تحقيق: د. محمود مطرجي.
6. البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420هـ.
7. البدر الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة - القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، المؤلف: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت: 1403هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
8. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1984هـ.
9. التسهيل لعلوم التنزيل: لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: 741هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ.
10. تفسير التستري: لأبي محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري (ت: 283هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1423هـ.
11. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: 327هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - 1419هـ.
12. تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م.
13. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، دار النشر: دار الفكر العربي - القاهرة، عدد الأجزاء / 16.
14. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: 333هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2005م.
15. تفسير الماوردي = النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: 450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان.
16. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، 1418هـ.

17. التفسير الوسيط: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994 م، عدد الأجزاء: 4
18. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1421هـ- 2001م، (222/20).
19. تفسير مقاتل بن سليمان: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: 150هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى - 1423هـ.
20. تفسير يحيى بن سلام: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي البصري الإفريقي القيرواني (ت: 200هـ)، تقديم وتحقيق: هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، 1425هـ-2004م، (508/2).
21. تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - 2001م، تحقيق: محمد عوض مرعب، عدد الأجزاء / 15، الطبعة: الأولى.
22. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ-2000م.
23. الجامع الكبير "سنن الترمذي": لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: دار الجيل - بيروت + دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية 1998م.
24. الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 1423هـ/ 2003م.
25. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: مركز هجر للبحوث، الناشر: دار هجر - مصر، سنة النشر: [1424هـ . 2003م]
26. دائرة معارف الأسرة المسلمة: علي بن نايف الشحود
27. دَرْجُ الثَّرَرِ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالسُّورِ: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471هـ)، تحقيق: طلعت صلاح الفرحانم، محمد أديب شكور أمير، الناشر: دار الفكر - عمان، الأردن، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، عدد الأجزاء: 2.
28. الدعوة إلى فئة المتخصصين في العلوم الشرعية: حمد بن عبد الله العمار. الرياض: دار ابن الجوزي، 1423هـ.
29. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.
30. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ.
31. شعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

32. صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ن: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط: 1، 1422هـ).
33. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: 850هـ، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1416هـ).
34. فتح الرحمن في تفسير القرآن: لمجير الدين بن محمد العلمي المقدسي الحنبلي (ت: 927 هـ)، اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخریجاً: نور الدين طالب، ن: دار النوادر (إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية)، ط: 1، 1430 هـ - 2009م.
35. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414هـ.
36. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشف): لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: 743هـ)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، 1434هـ-2013م.
37. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم، دار النشر: دار الشروق-القاهرة، (2385/4).
38. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط: 8، 1426 هـ - 2005م.
39. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407هـ.
40. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: 427هـ)، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، تحقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ن: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط: الأولى 1422، هـ - 2002 م.
41. الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، ن: مؤسسة الرسالة - بيروت.
42. دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت: ق 12هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000م، عدد الأجزاء: 4.
43. لباب التأويل في معاني التنزيل: لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ن: دار الفكر - بيروت / لبنان -، 1399 هـ.
44. لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (ت: 711هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414هـ.
45. لطائف الإشارات (تفسير القشيري): عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب-مصر.
46. مجمع اللغة العربية المعاصرة. عبد الحميد، أحمد مختار. ج 2، الرياض: مجمع اللغة العربية، 1443هـ.
47. محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ

48. مختار الصحاح. الرازي، محمد بن أبي بكر. تحقيق: محمود خاطر. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
49. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ.
50. مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي): لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار النشر: دار النفائس . بيروت 2005م، تحقيق: مروان محمد الشعار.
51. معالم التنزيل في تفسير القرآن: لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: 510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ.
52. معاني القرآن وإعرابه: لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى 1408هـ - 1988م.
53. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420هـ.
54. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - 1415هـ.
55. نهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة: عبد الله بن محمد الحوشاني، الرياض: دار الوطن للنشر، 1417هـ.
56. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: لأبي محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: 437هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، عدد الأجزاء: 13 (12)، ومجلد للفهارس.
57. وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وأساليبها بين التوقيف والاجتهاد: دراسة تأصيلية، محمد عبد المطلب حين، الطبعة الأولى، الرياض: دار الوطن للنشر، 1424هـ.

Stardom University



Stardom Journal of Islamic and Sharia Studies

_ Stardom Journal of Islamic and Sharia Studies _

Issued quarterly by Stardom University

4th issue- 3rd Volume 2025

ISSN 2980-3810

